العنوان:	الجماعات اليهودية في جنوب أفريقيا : تاريخها وموقفها من القضية الفلسطينية
المصدر:	المستقبل العربى
الناشر:	مركز دراسات الوحدة العربية
المؤلف الرئيسي:	بداد، جمال محمد مصطفى
المجلد/العدد:	مج37, ع430
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	59 - 74
رقم MD:	630682
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الجماعات اليهودية، القضية الفلسطينية، الاستيطان اليهودي، الصراع العربي الإسرائيلي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/630682

الجماعات اليهودية في جنوب أفريقيا
(تاريخها وموقفها من القضية الفلسطينية)

جمال محمد مصطفى بداد[*]

كلية العلوم والآداب، الجامعة العربية ـ الأمريكية، جنين.

مقدمة

لم تنل الجماعات اليهودية في جنوب أفريقيا الاهتمام الكافي من الباحثين والدارسين في حقل العلوم الإنسانية، بالرغم من دورها الفاعل والمؤثّر سواء داخل المجتمع في جنوب أفريقيا أو في علاقة الجماعة مع الكيان الإسرائيلي، وقد أدّت الجماعة اليهودية دوراً مهماً في سياسة اتحاد جنوب أفريقيا تجاه مسار القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي، وسيطرت على أغلب قرارات حكومات الاتحاد المتعاقبة، وساندت الكيان الصهيوني بقوة، ومن هنا وجدنا ضرورة إفراد بحثٍ تاريخي مُتخصِّص يرصدُ تاريخَ الجماعات اليهودية في جنوب أفريقيا نظراً إلى أهمية هذه الجماعات، وضرورة إلقاء الضوء على جذورها وتاريخها وما لها من دور في قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ومن ناحية أخرى وجدنا ندرةً واضحة في الدراسات التي تعرّضت ليهود جنوب أفريقيا.

أولاً: الجماعات اليهودية في جنوب أفريقيا

١ ـ الجذور الأولى للاستيطان

ترجع صلات الجماعة اليهودية بجنوب أفريقيا إلى بداية اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في العام ١٤٥٢م على يد البرتغاليين، فقد أسهم عددٌ من علماء اليهود ومصمّمي الخرائط في نجاح خطة فاسكو دي غاما (ت ١٥٢٤م) (Vasco da Gama)، التي أدّت إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في العام ١٤٩٧م[١]. كما تحالف التجار اليهود في هولندا مع شركة الهند الشرقية

(*) البريد الإلكتروني: gamalhanaysha@yahoo.com.

(١) الجدير ذكره أن البرتغاليين استفادوا من الخبرة الملاحية المتقدّمة عند العرب، ومن جداولهم الفلكية التي وُجدت في إسبانيا ثم انتقلت إلى البرتغاليين على أيدي اليهود الذين طُرِدوا من قشتالة المشهورة بعلومها =

الهولندية التي كانت سبباً لوجود السكان البيض في رأس الرجاء الصالح عام ١٦٥٢م[٢]، وتشير المصادر إلى أن أصول الجماعة اليهودية في جنوب أفريقيا، ترجع إلى النشاطات الاستيطانية الغربية الأولى، فقد كان أثرياء اليهود في هولندا من المساهمين في إنشاء شركة الهند الشرقية الهولندية، وظهرت أسماء يهودية في سجّلات المستوطنين الأوائل مثل صامويل جاكوبسون (Samuel Jacobson) وديفيد هيبرون (David Hebron) وأبراهام كوهين (Abraham Cohen) وجاكوب إفرايم (Jacob Ephraim)[٣]؛ ثم وفد إلى جنوب أفريقيا المستعمرون اليهود وخاصة من ألمانيا والجزر البريطانية، كما شقّ البعض منهم طريقاً داخل البلاد، وكان أبرزهم نتريال إيزاكس وبنيامين نوردين (Benjamin Norden) وجوناث بريجيتال والأخوة موزنتال (جوليث وأودلف وجيمس موزنتال) (The Mosenthal Brothers) وعائلة سولومون (Solomon) وجويل رابينوفيتش[٤]، فمع اكتشاف رأس الرجاء الصالح دخل اليهود لأول مرة إلى جنوب أفريقيا كأفراد ثم تكاثروا وعملوا في العديد من المهن، ولا سيما تجارة المعادن والألماس[٥].

الجدول الرقم (١)

تاريخ أول تكوين للجماعة اليهودية في المدن بجنوب أفريقيا

المدينة	كيب تاون	بورت إليزابيث	كيمبرلي	ديربان	جوهانسبرغ	أوديشتورن	بريتوريا	بليموفنتين	غراهامستاون
تاريخ أول تجمّع يهودي	١٨٤١	١٨٦٢	١٨٧٥	١٨٨٣	١٨٨٧	١٨٨٩	١٨٩٠	١٨٩٤	١٨٩٦

المصدر: Archive of South Africa Jewish Board of Deputies (Johannesburg).

= البحرية، وكان يقدر عددهم بـ ١٢٠ ألفاً لجأ معظمهم إلى البرتغال، آخذين معهم العلوم الملاحية العربية بعد أن نقلوها إلى العبرية. ومن نافل القول إن اليهود أدّوا دوراً خطراً في نقل أفكار العرب ومعلوماتهم إلى الأوروبيين، وخاصة أنهم كانوا يعيشون في الأندلس ويتحدثون العربية والفارسية والأندلسية، وكانوا يعملون في التجارة، جالبين من المغرب الجواري والغلمان والديباج والسيوف، ويتحركون في تجارتهم عبر البحر المتوسط كي يمضوا إلى السند والهند، وكثير منهم كانوا عيوناً وجواسيس للبرتغاليين، وبهذا مكّنوهم من الحصول على الخرائط العربية وعلى المعلومات الملاحية التي مكّنت الأوروبيين من تحقيق اكتشافاتهم البحرية المهمة. انظر: أغناطيوس يوليانوفتس كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ٢ ج ٢ (موسكو: لينينغراد، ١٩٥٧)، ص ٥٦٣.

(٢) Samuel Heilman, «Jewish South Africans: A Sociological View of the Johannesburg Community,» *Contemporary Sociology*, vol. 7, no. 3 (May 1978), p. 285.

(٣) Beinart Peter, «The Jews of South Africa,» *Transition*, no. 71 (1996), p. 60.

(٤) David Chidester, *Religions of South Africa* (London; New York: Routledge, 1982), p. 84.

(٥) Alien Races and Harry Hamilton Johnston, *A History of the Colonization of Africa* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1919), p. 12.

عند انتهاء عقد الستينيات من القرن التاسع عشر، لا سيّما عندما بلغَ عددُ العائلات اليهودية المقيمة في مدينة رأس الرجاء الصالح مئة عائلة، وسط السكان البيض الذين تخطّى عددهم مئتي ألف نسمة، تركّز اليهود في منطقتين من تلك المستعمرة وأقدمها كائنة في مدينة رأس الرجاء الصالح وضواحيها، والآخر في المنطقة الشرقية للإقليم وخاصة مدينة غراهامستاون (Grahamstown) ومدينة بورت إليزابيث والمراكز التابعة لها وغرافرينيه. وكان منهم تجار متجوّلون وأصحاب محلات، إضافةً إلى قلة من الحرفيين الذين توغّلوا في مناطق متباعدة داخل البلاد[٦]. (انظر الجدول الرقم (١)).

معظم النشاط اليهودي في جنوب أفريقيا ارتكز على مجالين أساسييْن هما: تجارة الألماس وتجارة الأسلحة.

ومن الجدير بالذكر أن معظم النشاط اليهودي في جنوب أفريقيا ارتكز على مجالين أساسيين هما: تجارة الألماس وتجارة الأسلحة، ففي عام ١٨٦٠ تمّ اكتشاف الألماس قرب هوب تاون - جنوب كمبرلي - وقد كان هذا الحدث سببَ نشوء صناعة الماس الحديثة. وشهدت أعوام ١٨٧٠ و١٨٨٠ تدافعاً مجنوناً إلى حقول الألماس المكتشفة حديثاً، وقد انتقل ألفريد بيت إلى جنوب أفريقيا عام ١٨٧٥ حيث حقّق في فترة وجيزة مكانة مهمة في مجال تطوير مناجم الألماس والذهب. وقد التقى ألفريد بسيسل رودس وترسّخت علاقتهما. وظل منذ ذلك الحين مرتبطاً بالنشاط المالي لرودس وبطموحاته الإمبريالية والاستعمارية. ووقف «بيت» إلى جانب «رودس» في تنافسه مع بارناتو (وهو من رجال المال والألماس من اليهود في جنوب أفريقيا) للسيطرة على مناجم الألماس في البلاد. وقد ساعدته في ذلك عائلة المليونير روتشيلد، حيث قامت مؤسسات روتشيلد بتمويل جهود سيسل رودس لإقامة إمبراطورية ضخمة لصناعة وتجارة الألماس في جنوب أفريقيا، وفي الثاني عشر من شهر آذار/مارس ١٨٨٨م، أسّس سيسيل رودس شركة «دي بيرز» للتنقيب عن أول مناجم الألماس في البلاد، وقد تطورت الشركة على يدي «إرنست أوبنهايمر»؛ وهو ابن تاجر يهودي ألماني كان قد قدم إلى أفريقيا، وعائلة أوبنهايمر عائلة يهودية خالصة معروفة بنفوذها الواسع في العالم. بحلول العام ١٨٨٩ قام سيسيل رودس بضمّ شركات إنتاج الألماس كلها في شركة واحدة تحت اسم شركة دي بيرس للمناجم الموحّدة، وبذلك يكون رودس قد قام بتأسيس الشركة الاحتكارية الوحيدة للألماس في جنوب أفريقيا، وفي غضون بضع عشرات السنين تحوّلت «دي بيرز» إلى شركة عالمية تسيطر على سوق الألماس من دون منازع. وكي يفرض هيمنته على السوق، أسّس «أوبنهايمر» مجموعةً تجارية أُطلق عليها اسم «منظمة البيع المركزية»، وكان كل الألماس الخام تقريباً يمر فيها، حتى أصبحت الشركة المسيطرة على معظم ألماس العالم[٧].

---

(٦) للمزيد انظر: ريتشارد ستيفنز وعبد الوهاب المسيري، **إسرائيل وجنوب أفريقيا**، سلسلة كُتب مترجمة؛ ٤٢٧ (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، [د. ت.])، ص ١٠٠.

(٧) للمزيد انظر: أشرف شتيوي، «مواجهة التدخل الإسرائيلي في أفريقيا،» **المصريون**، ٢٠١٤/٧/١٠.

٢ ـ ديمغرافيا الهجرات

تؤكد الإحصاءات الرسمية في دولة جنوب أفريقيا بأن تعداد اليهود عام ١٨٨٠م بلغَ ٤٠٠٠ نسمة تقريباً[٨] (انظر الجدول الرقم (٢)).

الجدول الرقم (٢)

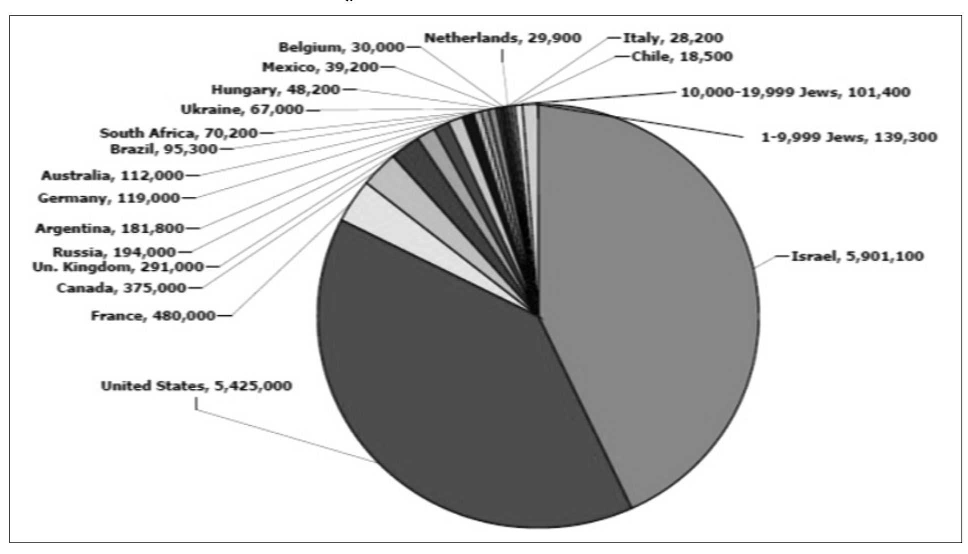
مقارنة بين أعداد السكان اليهود في جنوب أفريقيا في سنوات متقاربة

العام	١٨٨٠	١٨٨٥	١٩٠٠	١٩٠٥	١٩٠٩	٢٠٠٢	٢٠٠٦	٢٠١٢
عدد السكان اليهود	٤٠٠٠	١٧,٨٠٠	٢٨,٧٩٠	٣٢,٠٠٠	٣٨,١٠١	٨٨,٦٨٨	١٠٦,٠٠٠	٧٠,٢٠٠

المصدر: South Africa Census Reports, 1880 to 1909.

الشكل الرقم (١)

إحصائية تعداد السكان اليهود في العالم



المصدر: Sergio DellaPergola, «World Jewish Populations, 2012,» The College of Liberal Arts and Sciences at the University of Connecticut (2012), <http://www.bjpa.org/publications/details.cfm?publicationid=16432>.

في العام ١٨٨٥ وصل عدد اليهود في جنوب أفريقيا إلى نحو ١٧,٨٠٠ نسمة. وفي عام ١٨٩٠م وفدت أغلبية اليهود من بريطانيا، وأعداد أقل نسبياً من ألمانيا. ومن بعد، فإن تدفّق اليهود الروس (مع الأخذ في الاعتبار يهود شرق أوروبا) ازداد، وفي بحر عقدين تجاوز عدد

---

(٨) Chidester, *Religions of South Africa*, p. 176.

الشباب عددَ الشيوخ. وقد وفد معظمهم (نحو ٧٠ بالمئة) من لتوانيا وغيرها من المناطق الموجودة على الشواطئ الشرقية لبحر البلطيق (فقد أُطلق على اليهود الموجودين في جنوب أفريقيا لقب المستعمرة اللتوانية) ومن لاتفيا وبولندا وبيلاروس وغيرها من المناطق النائية. وأثناء فرارهم من الاضطهاد والفقر المدقع في بلاد شرق أوروبا، فاليهود حفّزتهم القصص الناجحة التي نقلها لهم الأفراد، والتقارير التي كانت تصفُ البوير لليهود وتعرّفهم بأنهم شعب الله المختار والإعانات التي قدمها المستعمرون القدامى لأبناء الشعب والقصص التي تشيد بالثروات التي تعج بها مناجم الذهب[٩].

أصبح عددُ اليهود عند مطلع القرن العشرين نحو ٢٨,٧٩٠ نسمة. وقد عكست تلك الصور على نحو واضح كيفية زيادةِ أعداد اليهود في دولة جنوب أفريقيا عن طريق التحاق اليهود الوافدين من الخارج بهم. وبين عامي ١٨٨٠ و١٩١٠م، دخلَ البلاد ما يقرب من ٤٠٠٠ مهاجر يهودي. وبعد ذلك، بدأت الأعداد تتقلّص لعدّة أسباب باستثناء الفترة المنحصرة ما بين عامي ١٩٢٤ و١٩٣٠م. ويمكننا تقدير دخول ٣٠٠٠٠ مهاجر يهودي في السنوات الخمسين التي امتدت من ١٩١٠ إلى ١٩٦٠م[١٠].

ففي العام ١٩٣٦م، سجلت نسبة اليهود بالنسبة إلى إجمالي السكان أعلى نسبة تمّ تسجيلها ألا وهي ٥٢,٤ بالمئة، فقد سارت الزيادة السنوية لأعداد اليهود بصورة أعلى نسبياً عمّا كانت عليه بالمقارنة بالسكان البيض بوجه عام، وفي الأعوام الـ ٢٥ (منذ العام ١٩٣٦م حتى العام ١٩٦٠م)، بلغت النسبة ٧٧،١ بالمقارنة مع نسبة ٢٦،٢ التي كانت تشكّل نسبة السكان البيض ككل. وفي عام ١٩٦١ عندما استقلّت جنوب أفريقيا عن الاحتلال البريطاني كان عدد اليهود قد بلغ ١١٨ ألفاً و٢٠٠ شخص ينتمي معظمهم إلى يهود شرق أوروبا وخصوصاً ليتوانيا استطاعوا السيطرة على اقتصاد جنوب أفريقيا[١١] (انظر الشكل الرقم (١)).

٣ ـ الإسهام السياسي

إن أكبر تركيز لليهود موجود في منطقتين وهما: المجمع السكني في الشمال وشبه جزيرة رأس الرجاء الصالح في الجنوب حيث كان يعيش في كل منهما على الترتيب ٦٠ و٢٣ بالمئة من سكان اليهود، وبسبب البعد الجغرافي والاختلافات في المظاهر الخارجية، فقد احتفظت الكيانات الإقليمية في الجنوب بديانة مستقلة افتراضية ومنظمات تربوية موازية للكيانات القومية في الشمال. على أي حال فقد كان هناك اتجاه يحبّذ التناسق والوحدة. لقد كان للكيانات اليهودية

(٩) Barry A. Kosmin and Jacqueline Goldberg, *Jews of the «New South Africa»: Highlights of the 1998 National Survey of South African Jews* (London: Kaplan Centre for Jewish Studies, 1999), p. 4.

(١٠) للمزيد انظر: عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد،** ٨ ج (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩)، ج ٤، ص ٤٢٧.

(١١) Census Reports of Jewry in south Africa, 1880, BD 7/15 (Johannesburg), SABJD Archives.

الرئيسية القومية كافة مراكزها الأساسية في جوهانسبرغ التي أصبحت بؤرة لوجود اليهود هناك[١٢].

إن المنظمة التمثيلية الوحيدة، وهي مجلس نواب جنوب أفريقيا اليهودي، تتميّز بوجود اليهود وغير اليهود فيها، إن هذا المجلس يمتاز بالحفاظ على الحقوق المتساوية لليهود، وعلى وضعهم كمواطنين من أجل حماية مصالحهم عامة. لقد تمّ تشكيل مجلس مدينة ترانسفال عام ١٩٠٣م وفقاً لرغبة ماكس لانجرمان والحبر جوزيف هرتز، إضافة إلى تشجيع المفوّض السامي لورد ملنر، وتم إطلاق اسمه على هذا المجلس بعد أول نموذج له في إنكلترا. وفي بادئ الأمر، لم تلاقِ هذه الفكرة تأييد الصهاينة. ومن ضمن هؤلاء الزعماء، نذكر برنارد ألكسندر ومانفريد ناتان وسيجفريد رفائلي. كما تمّ تكوين مجلس مستقل في مدينة رأس الرجاء الصالح عام ١٩٠٤م بفضل جهود كلٍّ من موريس ألكساندر ودافيد غولدبلات، على الرغم من معارضة ألفريد باندر ومؤيّديه.

وعقب توحيد المقاطعات الأربع عام ١٩١٠م، فقد توحّد الكيانان في مجلس نواب جنوب أفريقيا في العام ١٩١٢م، وكان همّه الرئيس حماية اليهود من التمييز عن غيرهم للسماح بهجرة اليهود وحصولهم على الجنسية والردّ على الهجمات والقذف الذين كان يتعرّض لهما اليهود. وقد ساعد هذا المجلس على ردِّ اعتبار اليهود بعد الحرب العالمية الأولى؛ وكان نشطاً أيضاً من خلال رابطة اليهود الألمانية والأشخاص الذين تمّ تهجيرهم بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية عن طريق توسّط جمعية النداء اليهودي في دولة جنوب أفريقيا عام ١٩٤٢م.

وقد عانى هذا المجلس الذي كان كياناً صغيراً وهزيلاً صعوبات في عملية إعادة التنظيم عند مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، وفي مقاومة النازية وموجة معاداة السامية. بينما ترك يهود جوهانسبرغ مراكزهم الرئيسة، تمّ إنشاء المجالس المحلية بمدينة رأس الرجاء الصالح ـ الذي كان مقرّ البرلمان ـ ودوربان وبوراليوابث وبلومفونيان، وتقلّد منصب رئيس المجلس التنفيذي على التوالي سيسل ليونز (منذ العام ١٩٣٥م حتى العام ١٩٤٠م)، وجيرالد لازاروس (منذ العام ١٩٤٠ وحتى العام ١٩٤٥م) وسيمون كوير (منذ العام ١٩٤٥م وحتى العام ١٩٤٩م) وإسرائيل ميزلز (منذ العام ١٩٤٩م حتى العام ١٩٥١م) وإيدل هورفيتز (منذ العام ١٩٥١م وحتى العام ١٩٥٥م) وناني فيلبس (منذ العام ١٩٥٥م حتى العام ١٩٦٠م) وتيدي شنايدر (منذ العام ١٩٦٠م وحتى العام ١٩٦٥م) وموريس بورتر (منذ العام ١٩٦٥م حتى العام ١٩٧٠م) الذي كان أميناً للحزب لعدة سنوات ثم غوستاف سارون.

٤ ـ الإسهامات الدينية

تنتمي أغلبية أفراد جالية اليهود إلى ملّة اليهود الأرثوذكس المتشدّدة. وقد أسّست حركة الإصلاح أو التقدّم تكتلات في المراكز العمرانية الكبيرة. وبحلول العام ١٩٦٦م، كان في

(١٢) Harold Jack and Ray Esther Simons, *Class and Color in South Africa, 1850-1950* (Baltimore, MD: Penguin Books, 1969), p. 67.

جوهانسبرغ ٢٩ تجمّعاً لليهود الأرثوذكس وأربعة معابد غرضها الإصلاح الديني. تلتزم معظم الجاليات؛ أي تلك التي تُنادي بالإصلاح وغيرها الأرثوذكسية، التي تنادي أيضاً بتدريس **التلمود** و**التوراة** بالعبرية في رياض الأطفال أحياناً، فهي توفر تسهيلات لمجموعات الشباب كما توفر أيضاً معابد يهودية يحظر فيها الاختلاط. إن رابطة السيدات (وقد أطلق عليهن اسم الأخوات أثناء عملية الإصلاح) تحمل البرامج الثقافية بين صفوف العضوات. هناك معسكران دائمان للإجازات لحركة الإصلاح. وألحقت رابطة معابد دولة جنوب أفريقيا التي تم تأسيسها كهيكل في العام ١٩٣٣م أغلب جالياتها بولاية ترانسفال وناتال وولاية أورنج الحرة والولاية شرقي رأس الرجاء الصالح (الغربية) وجنوب غرب أفريقيا المتّحدتين داخل مجلس جاليات الأرثوذكسي العبري (ومركزه في مدينة رأس الرجاء الصالح) وهذا المجلس يعمل على تحسين علاقته مع الاتحاد المذكور (انظر الجدول الرقم (٣)).

تحترم كل هذه الكيانات كبير الحاخامات والمحاكم الدينية (بت دين) التي تتولى أمر تهويد غير اليهود والمسائل المتعلقة بأمور الطلاق والإشراف على الكاشروت ـ الطعام المباح شرعاً ـ والأمور المشابهة لها. وبالرغم من أن الاتحاد أُسّس وحافظ على وجود بت دين واهتم بالدايانيم أيضاً، فإن بت دين كيان منفصل يمارس سلطةً مطلقة في الأمور الدينية المتعلقة بالملّة اليهودية الأرثوذكسية. يقوم الاتحاد بنشر مجلة شهرية كما يتمتع بوجود قطاع للشباب الذي يقوم بالتنسيق بين أنشطة المنتمين إلى مختلف الطوائف اليهودية[١٣].

الجدول الرقم (٣)
تواريخ وأسماء المعابد التي تأسست في مدينة جوهانسبرغ
منذ العام ١٩٠٢ وحتى العام ١٩١٠م

تاريخ التأسيس	اسم الكينس
١٩٠٢	كنيس جوهانسبرغ
١٩٠٣	كنيس بليموفنتين
١٩٠٦	كنيس أوبهيرتون
١٩٠٧	كنيس فورتسبورغ
١٩٠٩	تجمّع بليموفنتين العبري
١٩٠٩	كنيس لاروشيل
١٩١٠	كنيس بوسينس الاحتياطي

المصدر: Archive of South Africa Jewish Board of Deputies (Johannesburg) (1910).

(١٣) فاطمة عبد اللاه محمد عبد الكري، «اليهود في جمهورية جنوب أفريقيا: دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية،» (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧)، ص ٣٤.

إن الجماعات المنتمية إلى حزب التطوّر متحالفة في اتحاد جنوب أفريقيا مع جماعة اليهودية المتطورة، كما يتولّى فحص الأمور الدينية مجلس ديني مركزي. ويتكوّن هذا الأخير من حاخامات وحفنة من رجال القانون مع حبر يهودي يتم انتخابه سنوياً كرئيس مجلس إدارة لهذا المجلس، كما يتم التحاق الراهبات بالمعابد اليهودية الأرثوذكسية في اتحاد الراهبات الأعظم كما يتم إلحاق الأخوات بطائفة الإصلاح بالاتحاد القومي في معبد الأخوات.

وقد تمّ تأسيس معهد صغير لإعداد الرهبان والأحبار والشوحاتيم في مدينة جوهانسبرغ في بادئ الأمر تحت رعاية اتحاد المعابد، ومن ثم تولّى أمرها الصندوق الجماعي الموحّد، فقد أعدّ عدداً كبيراً من الطلبة للعمل في طوائف مختلفة. ومن أجل توفير التسهيلات الدينية والتربوية للطوائف الريفية الصغيرة ـ ولم يكن بوسع الكثير منهم تعيين مدرّس أو حبر خاص بهم ـ فقد تمّ تأسيس هيئة قومية للطوائف في البلاد في العام ١٩٥١م. فقد كانت خطواتها متضافرة أثناء العمل الذي يقوم به مجلس النواب اليهودي في دولة جنوب أفريقيا (بالاتحاد مع بيت دين، وهو اتحاد المعابد اليهودية ومجلس التربية اليهودي)، ورئيسه الحبر الأكبر لجاليات الطوائف الذي ينفق إعانات دورية للجاليات المقيمة في المناطق الريفية. إن هذه الخدمات يقدّمها «شابلينسي» المكوّن من ممثّلي مجلس النواب، واتحاد المعابد ومنظمة المجندين السابقين اليهودية واتحاد نساء اليهود واتحاد الحاخامات. وغالباً ما يكون كبير الحاخامات خطيباً أو حاخاماً يقوم بخدمة منطقة عسكرية. يمدّ النواب الأعمال الإدارية إلى مجلس النواب أغلبية الأعمال الإدارية في مجلس آخر للنواب. هناك ٣٠ حبراً يهودياً يخدمون غيرهم من اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية[١٤].

٥ ـ تقييم الاستيطان اليهودي في جنوب أفريقيا

ينتمي الكثير من أعضاء الجماعات اليهودية إلى الطبقة الوسطى، وبالرغم من أنهم يكوّنون أكثر أقليات العالم ثراءً إلا أنهم ليسوا جميعاً من الأثرياء، هذا ما أكدته إحصائية عام ١٩٦٨ التي أشارت إلى أن عُشر العائلات اليهودية في منطقة الكيب تاون يحتاجون إلى مساعدات مالية. والاستيطان الأبيض في اتحاد جنوب أفريقيا يتماثل مع الاستيطان الصهيوني في فلسطين والتماثل والتقاطع يأتيان من أيديولوجيا «الشعب المختار».

ثانياً: موقف الجماعات اليهودية في جنوب أفريقيا من القضية الفلسطينية

نشطت الجماعة اليهودية في جنوب أفريقيا للعمل على إقامة دولة «إسرائيل» في فلسطين، وتنامت الحركة الصهيونية بين يهود جنوب أفريقيا منذ بدايتها، حيث تكوّن الاتحاد الصهيوني الجنوب أفريقي (The South African Zionist) في العام ١٨٩٥، الذي عمل على تنمية النشاط

(١٤) Kosmin and Goldberg, *Jews of the «New South Africa»: Highlights of the 1998 National Survey of South African Jews*, pp. 4-12.

الصهيوني في الاتحاد، من خلال مجموعة أفراد كان لهم نفوذ واسع في شؤون اقتصادية عديدة وسلطات سياسية وبرلمانية مهمة. وهؤلاء كانوا أعضاء في ما يسمّى بالمؤتمر الإقليمي الصهيوني (The Regional Zionist Conference)، وبالرغم من أن أعضاءه كانوا أفراداً محدودين فقد كان لديهم نفوذ واسع، فقاموا بمساعدة المهاجرين اليهود من البلاد الأخرى، وعملوا على جمع الأموال الطائلة لمساعدتهم، وفعلوا ذلك مع يهود العراق عند هجرتهم إلى إسرائيل، وساعدت أموالهم في بناء العديد من المستوطنات. ومع الاعتراف المتكرّر من قادة اتحاد جنوب أفريقيا البيض بأحقّية اليهود في إقامة دولة خاصة ومستقلة لهم في فلسطين فقد تشجّع الصهيونيون في الجنوب الأفريقي على ممارسة نشاطهم عملياً[١٥].

الجدول الرقم (٤)

أهم المنظمات اليهودية في اتحاد جنوب أفريقيا

هيئة نوّاب يهود جنوب أفريقيا	(South African Jewish Board of Deputies)
مجلس جنوب أفريقيا للتعليم اليهودي التقدّمي	(South African Council for Progressive Jewish Education)
مركز تعليم لغة اليديش	(Yaddish Cultural Education Center)
هيئة الكيب للتعليم اليهودي	(Cape Board of Jewish Education)
صندوق إعانة الجماعة في البلاد	(Country Communities Fund)
الجمعية الوزارية ليهود جنوب أفريقيا	(South African Jewish Ministry's Association)
اتحاد المرأة اليهودية في جنوب أفريقيا	(Union of jewish Women of South Africa)

كلُّ تلك المنظمات كان لها تأثير واضح وفاعل في نشر الأفكار والمبادئ الصهيونية في اتحاد جنوب أفريقيا، وفي مساعدة إسرائيل على إقامة دولتها على أرض فلسطين. لقد كان للمساعدات المالية الوثيقة بين يهود جنوب أفريقيا والمشروع الصهيوني في فلسطين على مرّ السنين فائدتها في توضيح الدور الخاص الذي أدّته رؤوس الأموال المتدفّقة من الاتحاد في مشروعات إنشاء المستعمرات اليهودية. كما أن اعتراف حكومات الاتحاد المتتالية بأحقية إسرائيل في إقامة دولة أتاح لهذه المنظمات الصهيونية العمل في العلن من دون خشية أحد[١٦]. (انظر الجدول الرقم (٤)).

كما لم تنقطع هجرة يهود جنوب أفريقيا إلى فلسطين منذ القرن التاسع عشر؛ حيث ساهم العديد من بينهم في بناء وتطوير وإنشاء مستوطنات ومشاريع ومزارع عدّة. وتشير الإحصاءات إلى أن عدد اليهود الذين هاجروا من جنوب أفريقيا خلال ما يزيد على قرن من الزمان إلى

---

(١٥) Lawrence P. Frank, «Israel and Africa: The Era of Tachlis,» *Journal of Modern African Studies*, vol. 26, no. 1 (1988), pp. 151-155.

(١٦) جورج طعمة، «أفريقيا وإسرائيل،» **شؤون فلسطينية** (١٩٧٣)، ص ٩٤.

فلسطين قبل إنشاء الكيان الصهيوني؛ أي في الفترة من ١٨٤٠ إلى ١٩٤٢، نحو ٧٥,٧٦٥ نسمة[١٧]، وأن عدد اليهود في جنوب أفريقيا في نهاية ستينيات القرن الماضي كان نحو ١١٦ ألف نسمة[١٨]، إلا أن عددهم تدنّى إلى نحو ٦٧ ألف نسمة، بسبب الهجرة التي حصلت بعد انتهاء حكم التمييز العنصري في تلك البلاد إلى أوروبا والأمريكتين، وإلى فلسطين المحتلة أيضاً[١٩].

سعى اليهود منذ نشأة الاتحاد في العام ١٩١٠ إلى إلحاق نواب يهود ليكوّنوا جماعةَ ضغط مؤثّرة داخل البرلمان، وفي بداية القرن الـ ٢٠ توجّه عددٌ من زعماء الحركة الصهيونية إلى جنوب أفريقيا بناءً على تعليمات من زعيم الحركة الصهيونية هرتزل لحثّ الجالية اليهودية هناك على التدخّل لدى الحكومة البريطانية لإصدار ما عُرف في عام١٩١٧ بوعد بلفور. وقد بادر يهود جنوب أفريقيا إلى الاستجابة لنداء هرتزل بطلبهم من سيسيل رودس رئيس وزراء مستعمرة الكيب في ذلك الوقت وغيره من الشخصيات البريطانية البارزة في جنوب أفريقيا التدخّلَ لدى لندن.

وفي زمن حكومة الجنرال جان كريستيان سمطس (Jan Christian Samuts)[٢٠] الأولى (١٩١٩ ـ ١٩٢٤م)[٢١] أدركَ قوة جماعات الضغط اليهودية، وقد تمثّلت الجماعة بشكل مميّز في حكومته؛ حيث وصل عدد الأعضاء اليهود إلى ستة وعشرين عضواً في الحزب المتحد (The United Party)، وكان سمطس يعتقد أن الحركة الصهيونية تجسيد جديد لدولة جنوب أفريقيا. وكُلّلت جهودُ الجماعة اليهودية بالنجاح مع هذا الجنرال، وخاصة بعد أن تمّ تعيينه عضواً في مجلس الحرب البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد كان المنطق الذي يردّده سمطس

(١٧) وليم فهمي، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤).

(١٨) الياس سعد، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٩).

(١٩) نجلاء عبد الجواد، **اليهود في جنوب أفريقيا: دراسة في الجذور والتكوين والدور**، تقديم السيد فليفل (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١).

(٢٠) إيان سمطس (١٨٧٠ ـ ١٩٧٠): صهيوني غير يهودي، وسياسي ومحارب، ومفكّر من جنوب أفريقيا. شارك في حرب البوير (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥)، ثم شارك في حكومة الحرب البريطانية في الحرب العالمية الأولى. كان صديقاً شخصياً لحاييم وايزمان وداعية صهيونياً كبيراً. عمل على استصدار «وعد بلفور» لتحويل فلسطين إلى وطن لليهود، وعلى فرض الانتداب على فلسطين. وكان سمطس يَعتبر وعد بلفور أعظم ما خرجت به الحرب من إنجازات. وقد ساعد على إنشاء الفيلق اليهودي وقال لجابوتنسكي عام ١٩١٧: «إن أحسن فكرة سمعتها في حياتي هي أن على اليهود أن يحاربوا من أجل أرض إسرائيل». وكان سمطس يعتقد أن الحركة الصهيونية تجسيد جديد لدولة جنوب أفريقيا التي حارب من أجلها في العام ١٩٠٤. وكان سمطس عنصرياً عنيفاً شرساً حين تولّى رئاسة الوزارة في جنوب أفريقيا في (١٩١٩ ـ ١٩٢٤)، وفي (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨)، فطبَّق أشدّ قوانين العزل العنصري قسوة وذُبح على يديه الآلاف من السود والملونين. اعترف سمطس بدولة إسرائيل فور إعلانها. ولا نستطيع أن نقول إن ثمّة فكراً محدداً لسمطس، ولكن يُلاحَظ أن عنصريته التي تترجم نفسها إلى رفض للآخر الذي يقع خارج نطاق القداسة تضرب بجذورها في نسق حلولي عضوي، فهو يأخذ بالتفسيرات الحرفية للعهد القديم ويوظّفها في تسويغ استيطان الرجل الأبيض في أفريقيا واليهودي في فلسطين.

(٢١) أما حكومة سمطس الثانية فكانت في الفترة من (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨).

دائماً هو ضرورة وجود دولة إسرائيلية تحمي قناةَ السويس كوكيل للغرب في المنطقة، وهو الأمر الذي دفع الرجل إلى تكريس حياته لخدمة مبادئه الصهيونية مدافعاً عنها وممولاً لها[٢٢].

وصل تأثير اليهود في حكومة سمطس إلى درجة جعلته يقوم بدور بارز في تصريح بلفور، ونلاحظ أن الأطراف المؤسسة لاتحاد جنوب أفريقيا هي الأطراف نفسها التي أسست لتصريح بلفور، وهي لويد جورج واللورد ملنر الذي كان مندوباً سامياً في جنوب أفريقيا عام ١٩٠٣م، وارتبط اسمه بزعماء يهود من جنوب أفريقيا أمثال: هاري سولومون وصمويل غولدريتش وماكس لانجرمان، فقد أرسل تيودور هرتسل عام ١٩٠٣م إلى غولدريتش رسالة جاء فيها «إذا استطعت أن تثير اهتمام ملنر بقضيتنا فستكون لهذا فائدته الجمة»[٢٣]، وقد تصرّف غولدريتش والآخرون وفقاً لتعليمات هرتسل بدقة[٢٤].

بل أبعد من ذلك أنه حين رأت بريطانيا أنها ربما لن تستطيع الوفاء بتصريح بلفور بادرَ سمطس ـ بتأثير من الجماعة اليهودية فور طلب وايزمان المساعدة منه ـ إلى الدفاع بقوة عن القضية الصهيونية وطالب بالوفاء بتصريح بلفور[٢٥]. كما سمح سمطس في مطلع الحرب العالمية الأولى بالاكتتاب في اتحاد جنوب أفريقيا لمصلحة ضحايا الحرب من اليهود[٢٦]. وقد سمح سمطس لبعض رجال الجماعة اليهودية بجلب رعايا وأيتام يهود عندما حلَّ الدمار في البلاد التي يقطنونها في الحرب العالمية الأولى، وتعهّد لهم بالحماية والأمان داخل أراضي جنوب أفريقيا. وقد قام الاتحاد الصهيوني في جنوب أفريقيا بإرسال هؤلاء الأيتام إلى فلسطين بعد ذلك بعامين فقط[٢٧].

أثّرت الجماعة اليهودية كذلك في اتجاهات رئيس وزراء اتحاد جنوب أفريقيا باري هيرتزوغ[٢٨] ـ تولّى منصب رئيس وزراء جنوب أفريقيا من العام ١٩٢٤م إلى العام

(٢٢) Ian Samtus, «Warns Foes of Hews,» *Washington Post*, 24/12/1933, p. 9.

(٢٣) «Dr Weizmann, Speech Transjordan and Plastine Seventeenth Zionist Congress Passfield White Paper, October 1930: FO 371/15330-0010,» National Archives (London).

(٢٤) إليزابيث ماثيو، «إسرائيل وجنوب أفريقيا،» **شؤون فلسطينية**، العدد ٧٢ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧)، ص ١٠٢.

(٢٥) Gideonm Shimoni, *Community and Conscience: The Jews in Apartheid South Africa* (London: University Press of New England, 2003), p. 114.

(٢٦) Edward Feit, «Community in a Quandary: The South Africa Jewish Community and Apartheid,» *Race*, vol. 8, no. 4 (April 1967), p. 402.

(٢٧) Samtus, «Warns Foes of Hews,» p. 12.

(٢٨) باري هيرتزوغ (١٨٦٦ ـ ١٩٤٢م): عسكري وزعيم سياسي من جنوب أفريقيا. تولّى منصب رئيس وزراء جنوب أفريقيا من العام ١٩٢٤م إلى العام ١٩٣٩م، ودعم قومية جنوب أفريقيا وخفّف من روابطها مع بريطانيا. وُلِد جيمس باري مونيك هيرتزوغ في منطقة ويلنغتون من مقاطعة الكاب. وقد حصل على درجة الدكتوراه في القانون من أمستردام في العام ١٨٩٢، وبعدها بثلاث سنوات صار قاضياً في ولاية الأورانج الحرّة. وأثناء حرب البوير والإنكليز، كان قائداً للبوير، وقاد العديد من الغارات الجريئة ضدّ البريطانيين. وإضافة إلى ذلك كان قائداً لمفاوضات السلام التي أنهت الحرب عام ١٩٠٢. وقد ناضل في ولاية الأورانج الحرّة حتى =

١٩٣٩م ـ فجعلته هو الآخر يؤدّي دوراً مهماً في قضية إقامة الكيان الصهيوني، حيث أصدر بياناً في ٤ أيلول/سبتمبر ١٩٢٦ بـ «أن حكومة اتحاد جنوب أفريقيا التي تابعت لسنوات عديدة، وباهتمام وتعاطف، جهود المنظمةِ الصهيونية لإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، إذ ترى في هذا إسهاماً مهماً في السلام والمدنية ترجو كلّ النجاح لهذه المنظمة، ونحن كحكومة اتحاد جنوب أفريقيا سنسعى من خلال ممثلينا في عصبة الأمم وغيرها، ونفعل كل ما في إمكانيتنا في مساعدتهم لإقامة هذا الوطن القومي لليهود»[٢٩].

تظهر تنمية العلاقات بين الدولتين من خلال إرسال إسرائيل بعثات إلى جنوب أفريقيا وتنظيم دورات ليهود الشتات وزيارة جنوب أفريقيا واستقطاب المتطوّعين اليهود الذين أنهوا خدمتهم العسكرية، كما تستغل إسرائيل جماعات الضغط اليهودية في جنوب أفريقيا كجماعات موالية لإسرائيل ومصالحها هناك[٣٠]. وفي العام ١٩٣٤ أسّس يهود جنوب أفريقيا صندوق الاستثمار الأفريقي ـ الإسرائيلي الذي استهدف شراء الأراضي في فلسطين، ذلك الصندوق المملوك حالياً لبنك ليئومي إسرائيل والذي يمتلك حصة معتبرة منه ألفُ مستثمر يهودي في جنوب أفريقيا. وبعدما تولّى الجنرال سمطس رئاسة الوزراء في اتحاد جنوب أفريقيا مرّة أخرى استمرّ دوره في تأييد الكيان الصهيوني؛ وعقب الحرب العالمية الثانية سمحَ سمطس ليهود جنوب أفريقيا بنقل المساعدات المادية والمالية والعسكرية مباشرة إلى اليهود في فلسطين، تلك المساعدات التي ظلّت حتى السبعينيات الأعلى على مستوى العالم مقارنةً بتعداد الجالية اليهودية في جنوب أفريقيا، بالإضافة إلى السماح لهم بالمشاركة المباشرة في القتال ضدّ العرب. وبعد انسحاب بريطانيا من فلسطين في العام ١٩٤٨، وإعلان قيام دولة الكيان الصهيوني، قام وايزمان بإرسال برقية إلى سمطس يحثّه فيها على الاعتراف بدولة إسرائيل، فقام سمطس بإرسال برقية إلى موشي شاريت وزير خارجية إسرائيل جاء فيها «أن حكومة الاتحاد برئاسة الجنرال جان كريستيان سمطس تعترف رسمياً بدولة إسرائيل الجديدة[٣١]، وقد اعترفت الصحف اليهودية في الاتحاد بالدور الذي قام به الجنرال سمطس على مدى واحد وثلاثين عاماً، كما أن مجلس النواب اليهودي والاتحاد الصهيوني في الاتحاد لم يغفلوا هذا الدور[٣٢].

= حصل على حقّ الأطفال في التعليم بلغتهم الأم؛ اللغة الأفريكانية الهولندية عام ١٩٠٩. وكان عضواً في الاتفاقية القومية، التي أدّت إلى تكوين اتحاد جنوب أفريقيا عام ١٩١٠، وكان عضواً مؤسساً للأكاديمية الأفريكانية، وفي العام ١٩١٤ أسّس جائزة هيرتزوغ في الأدب.

(٢٩) «J. B. M. Hertzog's Speech before the Members of the Zionist Federation,» Hertzog Papers File, BD12/32 (Johannesburg), SABJD Archives (4 September 1924).

(٣٠) محمد عز العرب، «العلاقات الإسرائيلية الأفريقية: الظواهر ـ الإشكاليات ـ المستقبل،» **مختارات إسرائيلية** (مؤسسة الأهرام)، السنة ٨، العدد ٨٥ (كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢)، ص ٨٠ ـ ٨٣.

(٣١) «A Letter from Samtus to Sharett Published in South Africa Jewish Chronicle,» J. C. Samtus papers, Manuscripts Department, file BD 21/14 (Johannesburg), SAJBD Archives (28 May 1948).

(٣٢) «وثيقة مرسلة من مفوضية الجمهورية العربية المتحدة ببريتوريا إلى وزارة الخارجية المصرية،» إدارة الشؤون الأفريقية، محفظة رقم ١٢٠٤، ٣٢/١٠/١٩٥٦.

أدّت الجماعة اليهودية في جنوب أفريقيا دوراً في تأسيس العديد من «الكيبوتزات» داخل فلسطين قبل قيام «إسرائيل»، وكان هناك عِدّة روّاد من جنوب أفريقيا للاستيطان في فلسطين تمهيداً لقيام الدولة. وعندما قامت حرب ١٩٤٨ تطوّع المئات من يهود جنوب أفريقيا للذهاب إلى إسرائيل والقتال بجانبها[٣٣]. وطبقاً لمعلومات الجهات الرسمية الإسرائيلية آنذاك فإن اتحاد جنوب أفريقيا أسهم كثيراً في المجهود الحربي الإسرائيلي أكثر من أي بلد في العالم، وإن أول طيار قتل في الحرب من القوات الجوية الإسرائيلية كان متطوعاً من اتحاد جنوب أفريقيا هو «سد كوهين» الذي كان قائداً لسرب الطائرات في الصحراء الغربية، ويعتبر سد كوهين من أوائل الذين أسهموا في تكوين القوات الجوية الإسرائيلية. وعندما قامت دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين في منتصف أيار/مايو ١٩٤٨ أسرعت حكومة اتحاد جنوب أفريقيا إلى الاعتراف بالدولة الجديدة يوم ٢٤ أيار/مايو، وعملت الجماعة اليهودية في جنوب أفريقيا على توطيد علاقاتها بدولة «إسرائيل»، وتمّ إرسال طائرتي نقل ماركة بونانزا إلى فلسطين، فضلاً عن كميات من الأسلحة والعتاد الحربي والمواد الغذائية والتجهيزات الطبية والمساعدات المالية، وحتى حينما قامت الأمم المتحدة بمنع تدفّق الأسلحة على «إسرائيل» والعرب، فإن جنوب أفريقيا تمكّنت من تهريب الأسلحة إلى «إسرائيل»[٣٤].

وبعد هذه الحرب ضغط الاتحاد الصهيوني على حكومة جنوب أفريقيا لتدريب الطيارين الإسرائيليين عبر ميناء أمستردام، وكان ذلك يكلفهم كثيراً، وهذا ما دعاهم إلى العمل على إنشاء طريق بحري بين جنوب أفريقيا وإسرائيل مباشرة، لينقل المساعدات والمعونات كافة إلى تل أبيب، وقد أعلن دافيد بن غوريون أن يهود جنوب أفريقيا جماعة صغيرة لكنهم أرسلوا متطوعين عدة ومعونات تفوق أي جماعة يهودية أخرى في العالم، وظلّت العلاقة وطيدة بين جنوب أفريقيا وإسرائيل بفضل هؤلاء اليهود.

بعد عدة أيام من إعلان قيام دولة الكيان الصهيوني، ومع ظهور جيل جديد من الساسة من الأفريكان القوميين المتطرّفين سقطت حكومة سمطس وفاز دانييل فرانسوا مالان ـ امتدت حكومته من ١٩٤٨م حتى ١٩٥٤م ـ الذي تزعّم الحزب القومي الممثل للأفريكانز، وثارت مخاوف يهود جنوب أفريقيا، وخاصة أن الأفريكان عُرفوا أثناء الحرب الثانية بموقفهم المؤيّد لألمانيا النازية، وقام برسم سياسة جديدة قبيل الانتخابات العامة التي أجريت عام ١٩٤٨م. توعّد مالان باقتلاع المسألة اليهودية من حياة دولة جنوب أفريقيا وحياتها السياسية على حد سواء[٣٥]. إلا أن رئيس الوزراء الجديد مالان جدّد تأييد بلاده لليهود ولإسرائيل، بل إنه كان أول رئيس دولة في جنوب أفريقيا يزور إسرائيل، وسرعان ما تحالف

---

(٣٣) جيمس آدمز، «التحالف الشاذ بين إسرائيل وجنوب أفريقيا،» ترجمة طارق الزبيدي، **آفاق عربية** (بغداد) (١٩٨٨)، ص ٢٥.

(٣٤) «Report to South African Jewry,» Johannesburg, File BD 11/16, no. 09 (1848), and David Ben-Gurion, *Israel: Years of Challenge* (Londom: Holt, Rinehart and Winston, 1964), p. 95.

(٣٥) ستيفنز والمسيري، **إسرائيل وجنوب أفريقيا**، ص ٦٥.

اليهود مع سياسات الفصل العنصري الوحشية التي جاء بها السياسيون الأفريكان[٣٦]. إن عملية الربط الأيديولوجي بين الصهيونية والقومية الأفريكانية البيضاء في جنوب أفريقيا قد آتت أكلها في تعزيز الروابط بين إسرائيل وجنوب أفريقيا، ذلك أن البيض (البوير ـ الإفريكارز حالياً) الذين اعتبروا أنفسهم أبناء الله، بعد أن تمكَّنوا من الهجرة من مستعمرة الرأس في العام ١٩٣٦ هرباً من الحكم البريطاني عقدوا مقارنة بين خروجهم هذا وخروج بني إسرائيل من مصر، ومثلما أن اليهود خرجوا بقيادة موسى (عليه السلام) هرباً من فرعون، فإنهم خرجوا من مستعمرة الرأس بقيادة بيتر ريتيف إلى ناتال والترنسفال هرباً من بريطانيا، وهكذا صارت بريطانيا في نظرهم فرعون، وصارت بلاد المهجر «أرض الميعاد»، وصاروا هم أنفسهم «شعباً مختاراً»[٣٧].

كما ساهموا في بناء مدينة «أشكلون» التي قامت على أنقاض بلدة عسقلان العربية على الساحل الفلسطيني، وإنشاء شركة العال للطيران وغيرها من شركات. وكان أول القتلى المجنّدين في سلاح الطيران الإسرائيلي من يهود جنوب أفريقيا. كما أدّت أموال يهود جنوب أفريقيا دوراً بارزاً في نمو وتطوير العديد من الشركات والمصانع الإسرائيلية، مثل شركة العال للطيران وشركة أتا الخاصة بصناعة الملابس وشركات التأمين ومصانع التبريد وسباكة المعادن، فضلاً عن المصارف، ويعتبر مصيف أشكلون الذي أقيم مكان مدينة عسقلان العربية على البحر المتوسط شاهداً على الدور الذي قامت به استثمارات يهود جنوب أفريقيا[٣٨].

ساندَ الرئيس المصري جمال عبد الناصر حركات التحرّر الأفريقية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، ونشطت الجماعة اليهودية في جنوب أفريقيا في تصوير عبد الناصر باعتباره عدوَّ الرجل الأبيض، ويريد أن يفرض الإسلام في أفريقيا كلها، ويجعلها قارة مسلمة، وهذا ما جعل حكومة جنوب أفريقيا تزيد تعاونها العسكري مع إسرائيل وفقَ نظرية أن يكون هناك عدو قوي عسكرياً لعبد الناصر على حدوده، ويستنزفه ويرهقه عسكرياً واقتصادياً، وحققت إسرائيل استفادة ضخمة عسكرياً واقتصادياً، وكانت جنوب أفريقيا تدرّب الطيّارين الإسرائيليين، وتقوم بصيانة الطيران الإسرائيلي، فضلاً عن أسلحة عديدة أخرى، والمعروف أن جنوب أفريقيا عاونت إسرائيل في مشروعها النووي[٣٩].

أما في حرب العدوان الثلاثي على مصر وأثناء أزمة قناة السويس عام ١٩٥٦ فقد امتنع اتحاد جنوب أفريقيا عن إدانة العدوان الثلاثي بشكل لافت للنظر طوال فترة العدوان الثلاثي،

---

(٣٦) Dan Jacobson, «The Jewish of South Africa: Portrait of Flourishing Community,» *Commentary*, vol. 23 (January 1957), p. 39.

(٣٧) عواطف عبد الرحمن وحلمي شعراوي، **إسرائيل وأفريقيا، ١٩٤٨ ـ ١٩٨٥** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥)، ص ٢٠٣ ـ ٢١١.

(٣٨) نعيم قداح، «العلاقات بين الكيان الصهيوني وجنوب أفريقيا: ندوة الخرطوم حول التفرقة العنصرية،» **السياسة الدولية**، السنة ١٢، العدد ٤٤ (١٩٧٦)، ص ٨٣.

(٣٩) سميح فرسون، «جنوب أفريقيا وإسرائيل: علاقة خاصة،» **شؤون فلسطينية**، العدد ٤٧ (تموز/يوليو ١٩٧٥)، ص ١٧١.

واتخذت صحافة اتحاد جنوب أفريقيا بواسطة اليهود الذين يسيطرون عليها موقفاً مؤيداً لكلٍّ من إسرائيل وفرنسا وبريطانيا، ومعارضاً وغير مهذب تجاه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والبلدان العربية والاتحاد السوفياتي[٤٠].

في العام ١٩٥٦ قام الجنرال إيغال ألون الذي تولّى فيما بعد وزارة الخارجية الإسرائيلية بزيارة جنوب أفريقيا وبدأ بتحريض بريتوريا ضد البلدان العربية وعلى رأسها مصر.

لم يكن غريباً أن تكثّف إسرائيل محاولاتها للتقرّب من جنوب أفريقيا كلما توالت على الأخيرة الإدانات والعقوبات الدولية بسبب جرائم النظام العنصري، وقد تجلّت تلك المحاولات في العديد من الزيارات التي قام بها كبار المسؤولين الإسرائيليين إلى بريتوريا في نهاية الخمسينيات والستينيات. ولم يكن ذلك غريباً عنهم، فقد استوطنوا من قبل جنوب أفريقيا، وجاء معظمهم من هولندا، أي أن الاستيطان كان عادياً في بنائهم النفسي وتكوينهم العقلي، وحين قامت «إسرائيل» كان عدد اليهود في جنوب أفريقيا يزيد قليلاً على مئة ألف، ومع ذلك فقد اعتبر غولدشتاين رئيس اللجنة التنفيذية الأمريكية للمؤتمر اليهودي العالمي في زيارة له عام ١٩٥٩ إلى جنوب أفريقيا أن في هذا البلد أكثر الجماعات اليهودية حيوية خارج «إسرائيل»، وهي جديرة بمكانتها إذا قيست بمقاييس الارتباط بالمعبد والتعليم اليهودي والإخلاص للصهيونية الذي لا يشمل استجابتها لطلبات جمع الأموال لإسرائيل فحسب، وإنما يشمل الهجرة إلى إسرائيل والاستثمار فيها أيضاً[٤١].

توثقت العلاقات بين جنوب أفريقيا وإسرائيل منذ نشوب حرب ٦٧، وذلك من خلال السماح للمتطوعين اليهود في جنوب أفريقيا بالعمل في وظائف مدنية وشبه عسكرية في إسرائيل.

توثقت العلاقات بين جنوب أفريقيا وإسرائيل منذ نشوب حرب ٦٧، وذلك من خلال السماح للمتطوعين اليهود في جنوب أفريقيا بالعمل في وظائف مدنية وشبه عسكرية في إسرائيل، وكذلك سمحت للمنظمات اليهودية في جنوب أفريقيا بتحويل ما يربو على ٢٨ مليون دولار إلى إسرائيل[٤٢]. حيث اختارت جنوب أفريقيا قرية ياتير كمشروع رئيسي يستقطب حملات جمع الأموال التي يقوم بها الصندوق القومي اليهودي[٤٣]. وفي العام ١٩٧٣ قطعت معظم الدول الأفريقية علاقتها بإسرائيل باستثناء جنوب أفريقيا، وقد افتتحت إسرائيل شحناتها من

(٤٠) جيمس آدمز، «التحالف الشاذ بين إسرائيل وجنوب أفريقيا،» ترجمة طارق الزبيدي، **آفاق عربية** (بغداد) (١٩٨٨)، ص ٢٥.

(٤١) يحيى غانم، «إسرائيل وأفريقيا ومحاولة غزل مستمرة،» **الأهرام**، ٢٧/١١/٢٠٠٠.

(٤٢) محمود عباس (أبو مازن)، **إسرائيل وجنوب أفريقيا: لقاء العنصريين** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٨٩)، ص ٢٧.

(٤٣) **المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون، ١٩٦٨** (القاهرة: مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالاشتراك مع مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام، ١٩٧١)، أنشطة الصندوق القومي الصهيوني، ص ٢٩٨.

الأسلحة لجنوب أفريقيا بتزويدها بطائرة أرافا التي كانت تعد أمضى سلاح في حرب العصابات في ذلك الوقت، والتي استخدمها نظام بريتوريا العنصري ضدّ حركات التحرر الوطنية في ناميبيا قبل الاستقلال، كما قامت تل أبيب بتزويد بريتوريا بتصميمات جيل جديد من الميراج الفرنسية قام عملاء الموساد بسرقتها من سويسرا. وقد سلمت إسرائيل جنوب أفريقيا أيضاً العديد من الأسلحة السوفياتية الصنع التي وقعت في أيديها في حرب العام ٦٧، لكي تستطيع بريتوريا مواجهة الدول المجاورة لها التي تستعين بالسلاح السوفياتي بالإضافة إلى منح النظام العنصري تراخيص تصنيع العديد من الأسلحة إسرائيلية الصنع ومن أشهرها مدفع العوزي الشهير[٤٤].

خاتمة

مما سبق تتضح لنا أهمية الدور الذي أدّته الجماعة اليهودية في جنوب أفريقيا، ولا ننسى أن أفريقيا لم تغب عن ذهن الساسة الإسرائيليين؛ وقد ركّزت إسرائيل عليها نظراً إلى ما تتمتّع به القارة من مزايا استراتيجية، وأهمية حيوية للأمن الإسرائيلي، وما تنعم به من ثروات طبيعية ومعدنية ومخزون وافر من المياه. وقد ساعدت تلك الجماعات في نجاح وتمرير المخططات الإسرائيلية هناك □

(٤٤) غانم، «إسرائيل وأفريقيا ومحاولة غزل مستمرة».